ملخص كتاب: أفكار عملية في تربية الأبناء

تأليف: نايف القرشي

علّم طفلك الإيمان قبل أن تعلّمه القرآن

روى ابن ماجة في صحيحه، عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه، قال: "كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً". وهكذا إذن يكون الترتيب. فالطفل الذي يترسخ التوحيد في قلبه قبل أي شيء، حتى يملأ جوانحه بمحبة الله، هو أكثر الأبناء طاعة لأوامره – في كبره – واجتناباً لنواهيه. فالطفل أرض خصبة، تُنبِت ما غُرِس بها، وهو كذلك مجبول على التعلّق بمن أحسن إليه، فإذا عرف أن الله سبحانه وتعالى هو المنعِم عليه في كل شأنه؛ ازداد تعلقه به. لذا وجب على الوالدين غرس الإيمان في نفوس أبنائهم، لما له من أبلغ الأثر على شخصياتهم، ولكن دون مغالاة أو إكراه، وإنما باللين والحكمة، وكذا بالتخلّق بما ينصحونهم من الصفات؛ ليكونوا أُسوةً لهم.

امدح إيجابية في طفلك واحصل على الأخرى مجاناً

أورد البخاري عن أبي هريرة سؤاله للنبي ﷺ : يا رسول الله! من أسعد الناس يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : "لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث...". وبالمثل، هل لنا أن نتخيّل حال الابن حيننشعره بهذا الاهتمام وندفعه بذلك المدح؟ نعم، فالصفة الإيجابية كزهرة تحتاج من يرعاها بالكلمة الطيبة، المحفّزة، وإلا ذبلت وفنت. خاصةً وأن بعض الأطفال يعتقدون خطأً أنهم فاشلون، ومن ثم كان التشجيع حصناً لهم من هذا الشعور، بل قد يساعد تشجيع إحدى الصفات/الأعمال الطفل على إبراز نجاحات أخرى في أمور متعددة، فعندما تثني على تفوقه في مادة الرياضيات سيتحسن أداؤه في المواد الباقية.. وهكذا. وقد يُغفل بعض الآباء شيئاً كهذا رغم إيمانهم بأهميته، وذلك لنظرتهم السوداوية التي لا ترى في الابن إلا قبيح عمله فتسقطه على كل أفعاله، ولهؤلاء تقول الحكمة: لو كانت السلبيات مرضًا ينتشر في الجسد إلا عضوًا واحدًا، لكان في هذا العضو دواء البدن كله إن سلّطنا الضوء عليه.

ابنِ شخصية طفلك من جميع الجوانب

لمّا كان الإسلام دينًا شاملًا لكل جوانب الحياة، كان التخلّي عن شعيرة من شعائره قصورًا في التعبّد، وبالمثل: فعندما تُغفَل التربية، التي تستمد روحها من الإسلام، أحد هذه الجوانب، فإن الوالد يكون مُقصّرًا في حق ولده. فضمور شخصية الطفل في جانب يربك عملية البناء في الجوانب الأخرى، ومن ثم كان على الوالدين مسؤولية الموازنة في تربية أبنائهم، بتعهّد الجوانب الآتية:

- **الجانب الإيماني**: وذلك بغرس تعظيم الله في قلب الطفل والالتزام بفرائضه.
- **الجانب الثقافي**: بحثّه على تعلّم دينه وآدابه، وتعويده على القراءة والبحث والتعامل مع مصادر المعلومات.
- **الجانب العقلي**: عن طريق تنمية قدراته التحليلية وطرائق حل المشكلات.
- **الجانب الخلقي**: ببناء الأخلاق الحسنة داخله، والتمثّل بها أمامه، وتهذيب الكلام معه والوفاء بالعهود.
- **الجانب الاجتماعي**: بتنمية مهارات التواصل والاحتكاك، واصطحابه للمجالس وتشجيعه على الحوار.
- **الجانب النفسي**: وذلك بإشباع احتياجه العاطفي، وتقديره، والحرص على إسعاده، وتجنيبه ما يهدده.
- **الجانب الصحي**: باتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب، وتعريضه للشمس يوميًا، والكشف الدوري عليه، والاهتمام بنظافته ورياضته.
- **الجانب الدعوي**: بتنمية الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين، وإحياء الغيرة على محارم الله، وحثّه على نصح زملائه بالحُسنى ونهيهم عن المنكرات.
- **الجانب الجمالي**: بتعويده على ترتيب غرفته، وتشجيعه على الإبداع الفني، واصطحابه للحدائق والأماكن الجميلة.

طفلي.. كيف أُشكِّل عقله وأصنع تفكيره؟

لأن عقول الأطفال أشبه ما تكون بقوالب مرنة، فإن التعامل معها بحديّة يغلق عليه التفكير ولا يدع أمامه سبلًا لحلول أخرى، وذلك أخطر ما نتجنّى به على عقله وتفكيره. فالمربي الفعّال لا يتناول الأحداث المجتمعية بحديث مشحون بالعاطفة وبصوت مرتفع، يضر الطفل أكثر مما ينفعه، وإنما يتحدّث عن الأمور بعقلانية ويشرح أبعادها، ثم يتناول الحلول الممكنة، متشاركًا مع أسرته في تحديد أدوارهم ونقاشهم حولها، مما يحفّز عقل الطفل ويشجعه على التفكير المستمر للوصول إلى تفسيرات وآراء قائمة على التفكير لا التلقين، فتزداد ثقته في نفسه ويتّقد ذكاؤه.

ربِّ طفلك على الحرية والكرامة لا على الاستعباد

ولا تعني الحرية هنا أن يكون تحرره مطلقًا من كل شيء، وإنما الحرية المقيدة بالشرع تعني الكرامة واختيار الطاعة إراديًا، وقد أثبتت الدراسات أن تأقلم الطفل مع التربية يكون سهلًا بقدر تمتعه بالحرية. ومن ذلك تدريبه على اتخاذ القرارات ليكون قادرًا على الحكم والاختيار، وقد حرص النبي ﷺ على غرس هذا المعنى في أصحابه؛ لأن تربية الطفل على الطاعة العمياء، رغم سهولتها، تبدو الطريق الأقصر لمحو شخصيته وتوسيع الفجوة بيننا وبينه. ولا تعارض بين طاعة الوالدين واستقلالية الطفل، ما دام الجو الأسري يدعم الحوار والتعبير عن اختلاف وجهات النظر في حدود اللياقة والأدب، ولعل استعداد الآباء النفسي لتقبّل آراء الأبناء هو ما يخلق بيئةً كتلك. ومن الوسائل التي تساعد أيضًا في ذلك: عقد جلسة أسبوعية للحوار مع الأبناء، وترك مساحة الاختيار الشخصي لهم في بعض الأمور، بالإضافة لاستشارتهم في شؤون المنزل وأماكن السفر والترفيه، وإعطائهم الحق الكامل في تقرير مساراتهم التعليمية والوظيفية بعد اطلاعهم على ما يساعدهم في ذلك. وتذكّر: من السهل قيادة الحصان إلى نبع الماء، ولكن من الصعب إجباره على الشُرب.

لماذا يفشل الأب المُتعلِّم وينجح غير المُتعلِّم في التربية أحيانًا؟

قد يرجع السبب هنا إلى اصطدام أفكار وقرارات الأبناء بسلطوية أفكار آبائهم المثقفين وقراراتهم، مما يئد إبداعهم، وهو ما يختفي غالبًا في حال كان الوالد أقل تعليمًا/ثقافةً من ولده؛ إذ يبدي الآباء هنا احترامًا عفويًا لأفكار أبنائهم، مما يعني إعجابًا مفرطًا غير مشروط بهم، وهو ما يحتاجه منا أبناؤنا بكل بساطة. من هنا نعي أهمية حق التدريب والتفكير والمحاولة للأبناء؛ لأن سياقتهم –حتى للاتجاه الصحيح– دون ترك هامش للتجربة والخطأ تضعف النضج الفكري لديهم وتختزل إبداعهم، وهو ما يضاعفه الضرب والإهانة والتحقير من شأن آرائهم. والعكس هو الصحيح، فبناء ثقة الطفل تنشأ من احترام رأيه، والإجابة على تساؤلاته، والحوار معه، وإكسابه مهارات العمل الجماعي، وتنمية فكره الناقد، وإكسابه مرونة جمع المعلومات واختيار البدائل.

حتى لا تتحول الصفة السيئة إلى شجرة عملاقة

عن معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "الخير عادة، والشر لُجاجة، ومن يُرِدِ الله به خيرًا يفقهه في الدين". ومن هنا يمكننا القياس، إذ أن الصفة، حسنةً كانت أو سيئةً، تبدأ في الطفل

كنبتة يسهل اجتثاثها، فإذا تُرِكت فيه صارت شجرةً متشعبة الجذور. ومن ثم كان غرس القيم الحسنة، واجتثاث الصفات السيئة، في الصِغر فعلًا ذا بداهة وضرورة، على أن يكون ذلك باعتدال لا يقلب الجرأة إلى وقاحة أو يجعل الاستقلالية انفلاتًا. ولفعل ذلك، حبّذا لو وُضِع جدول لمتابعة ورصد سلوكيات الطفل، لتحديد سُبل التعامل معها. وقد كان ذلك من دأب السلف، إذ رُوي عن إبراهيم بن أدهم أن أباه كان يتابع حفظه للأحاديث ويثيبه على الحديث بدرهم حتى طلب علم الحديث بذلك.

تقبُّلك لطفلك كما هو يلغي المسافات الفكرية والعاطفية بينكما

ربما نسأل أنفسنا: لِمَ يقترب أبناؤنا من أصدقائهم أكثر منا؟ ولعل الإجابة تكمن في تقبّل الأصدقاء لبعضهم، كما هم، في أي وقت، وهو ما ينعدم في كثير من البيوت. وربما يستمع الأب لأحد الشبان، وهو يروي مغامراته المراهقة، بابتسامة وقهقهة لإدخال السرور على الشاب، ثم يدلف إليه بالنصائح اللطيفة –بعد إنهاء حديثه– لتقويم ما أخطأ فيه. والسؤال: لماذا لا يتعامل الأب مع ابنه المراهق بهذه الطريقة بدلًا من التصيّد والتقريع المستمر؟! فالأولى أن يحطم الآباء حواجزهم الرسمية مع أبنائهم، وأن يغمروهم بالدفء والحنان لئلا يبحثوا عنه بعيدًا. كما يتوجّب عليك كأب حسن الاستماع لأحاديث أطفالك والتفاعل معها ليعتادوا الصدق معك، وكذلك التعايش مع شغفهم وتجنُّب المبالغة في الحرص على مستقبلهم لكيلا ينفروا. وليس شرطًا في التقبّل أن يوافق الوالد ولده في كل صغيرة وكبيرة، ولكن تعديل سلوك الطفل يبدأ من اطمئنانه أن والديه يقبلانه كما هو ولا يساومانه على الحب.

المهارات الاجتماعية من فروض التربية وليس من نوافلها

لأن الإنسان لا يولد بها، ولا هي تظهر بشكل سحري عند الحاجة، كانت تنمية المهارات الاجتماعية للطفل فرض عين تربوي لا نافلة يُخيّر الوالد في الالتزام بها؛ ذلك لأنها من مفاتيح العلم والثراء والصحة النفسية، وقد يؤدي إهمالها لنتائج عكسية تسجن الولد في انطوائيته أو عجزه عن التعامل مع المجتمع. وليس أسوأ من إهمال الأب أمرًا كهذا إلا توبيخه لأبنائه عند تقصيرهم فيها وقد كان هو منبع التقصير. ومما يجدر بالوالد أن يُعلِّم أبناءه مهارات القيادة والقدرة على الاختيار، وفنون التواصل مع الغير والتعبير عن الذات، بالإضافة لتبصرتهم بالتصرف اللائق في المواقف المختلفة. وقد يكون من الأفضل تقوية هذا الجانب في الطفل من لحظة الولادة وحتى سن السابعة، ثم الاهتمام بعد السابعة بزرع القيم وترسيخها في ذاته ونفسه، فزرع

التواضع في شخصية واثقة أفضل من زرعه في نفس مهزوزة... وهكذا. وذلك -أي تنمية مهاراته- مما يساعد على نمو وعيه بحقوق الآخرين وتوافقه الاجتماعي معهم وحسن الاختيار من بينهم. ويحدث ذلك عن طريق جذب انتباهه منذ ولادته وتدريبه على اللعب والمحاكاة، وتعريضه للآخرين وتوسيع دائرة علاقاته، واصطحابه في الزيارات العائلية، وإشراكه في النشاطات المدرسية، وغرس التراحم في نفسه بزيارة المرضى وإشراكه في توزيع الصدقات.

بدلًا من أن تحل مشكلة طفلك علّمه مهارة حل المشكلات

إذا كنت تحب طفلك، فدعه يعيش تفاصيل مشكلته التي وقع فيها ويتأمّلها؛ ليبتكر الحلول المناسبة ويتحمّل مسؤولية نتائجها، ولكن مع إحاطته بالدعم والمشورة ما لزم ذلك، مع الطمأنة الدائمة بأنك في ظهره، وتذكيره بمنطقية العثرات وفائدتها لتقوية المرء وإكسابه الخبرات، وأنها -كذلك- تقربه من ربه وتكفّر من خطاياه. ولتدريبه على ذلك يمكننا، على سبيل المثال، حثّه للزحف نحو لعبته بدلًا من جلبها له عند صراخه، وتشجيعه على ترتيب غرفته، والاهتمام بوضع أغراضه في المكان الصحيح. كما ينبغي أن نعوّد أطفالنا على الانفصال الشعوري عن المشكلة، لكيلا يغرقوا في التفاصيل، ويتمكنوا من النظر إليها لتقدير حجمها، وكذلك توعيتهم بأنها قد تستوعب أكثر من حل، أو تكون عصيةً على الحل النهائي وأن غاية ما يمكننا -حينها- هو الحد من آثارها والتعايش معها.

امنح طفلك فرصة اختيار الكف عن الخطأ

بدلًا من كفّه عن الخطأ، أظهِر له مساوئ هذا الفعل واتركه ليختار التوقف، فذلك أبلغ وأدوم أثرًا، وقد كان هذا هديًا نبويًا في بعض النهي عن الأمور؛ ذلك لأن هذا الأسلوب يُشعر الابن بالمسؤولية والكرامة بدلًا من الإجبار والقهر، كما يوسّع من مداركه وينمّي قدرته على الاختيار، ويزيد من الثقة والألفة بينه وبين والده. وهذا في الأمور التي تسع ترك المساحة له فيها ولا تحمل له الأذى، وإلا فالواجب على المربّي -حينها- أن يوجّه طفله مباشرةً للكفّ عن فعلته.

صفعة واحدة كافية لزعزعة الثقة واغتيال المبادرة

لا يضرب الوالد، حين يصفع ولده، وجهه وحسب، وإنما يضرب معه كبرياءه وشجاعته ويزعزع أمنه الشخصي، خاصةً إذا جهل الطفل سبب ضربه. ولكن بدلًا من ذلك، فإن تبصرته بخطئه وضرورة تحمله مسؤولية إصلاحه، ما أمكن ذلك، أنفع من عقاب قاسٍ قد يدفعه للكذب فيما بعد. فقط، عبّر عن رفضك للسلوك بهدوء ومحبة لتكون الرسالة التي تصله أن سلوكه هو المرفوض لا شخصه. بالإضافة إلى حماية الطفل بقدر الإمكان من قسوة الطرف الآخر –الأب للأم أو العكس– لأن استخدام العقوبة في كل حالة مفسد تمامًا كتركها بالكلية، وليكون العقاب مفيدًا يجب التدرج فيه من الرفق إلى الشدة، ومراعاة أن يناسب الخطأ لا أن يكون انتقامًا؛ لأنه حينها سيكون تعبيرًا عن قلة حيلتك أمام الطفل، فقد يكون الإعراض أو مجرد التأنيب كافيين دون الحاجة إلى العنف.

الطفل المُبدِع.. أين يُصنَع؟

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزِع من شيء إلا شانه". من هذا الحديث تبرز أهمية التعامل الهيّن الرفيق داخل الأسرة وأثره على تنمية إبداع الأبناء، وبالتالي أثر غيابه العكسي من خوف واهتزاز لشخصيات الأطفال. فلو أن السعادة الأسرية طاقة كامنة في كيان كل فرد بالأسرة، فإن ابتسامات الحب، والكلمات الطيبة، والهدايا، والدفء العاطفي، يمكن اعتبارها مثيرات لهذه السعادة. فكما أن الحزم لا يعني التعقيد، فإن البساطة لا تعني السذاجة والسطحية، وإنما هي التغافل عن السلبيات البسيطة ومدح كل شيء إيجابي في الأبناء والزوجة، ونشر الحب والسعادة في الأجواء.

الحياء زينة للطفل، فلا تجعله سكينًا لذبح التعبير عن المشاعر

الحياء هو أصل الخير فلا يأتي إلا به، وإذا كان منبعه القلب فإن نشاطه يتعدى كل الجوارح، فالاحتشام وخفض الصوت وغض الطرف– كله من الحياء، وأعظم الحياء ما كان من الله تعالى. ولكن، حذار من تحوله إلى سكين يذبح التعبير عن الحب من الابن لأسرته، أو ينحرف مفهومه إلى الجبن والاستسلام والخوف من المطالبة بالحقوق، وقد كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وهو أشجع الناس وأقدرهم على الصدع بالحق. وقد يكون شُحّ الآباء في التعبير عن حبهم لأطفالهم سببًا في انعكاس ذلك على الأبناء، لذا يجب على الأب والأم الإكثار من التعبير عن الحب للطفل وإخبار الآخرين أمامه أننا نحبه، بالإضافة إلى

الإنصات لحديثه، والابتسام في استقباله، وتقبيله كلما اقترب منك وعند ذهابه للنوم وبعد استيقاظه، وكذلك مشاركته أموره وألعابه ومهاداته بين الحين والحين.

مهمتك صقل مواهب طفلك لا إيجادها

الموهبة في الطفل كالبذرة في الأرض، متى تعهدها صاحبها بالرعاية والحماية؛ غدت شجرةً كبيرةً، فإن أهملها هلكت قبل أن تكون. وقد أكدت الدراسات أن التدخل المبكر لتنمية مواهب الطفل يساعد على صقلها، كما أنه من الخطورة بمكان أن يحاول الأب تحقيق طموحه الذي عجز عنه في أبنائه، فهو بذلك يضرهم من حيث أراد أن ينفعهم، لذا لا ضير في أن يستعين الوالدان بمعلم أو صديق لاكتشاف مواهب طفلهما، وكيفية تنميتها مع الوقت.

ليلة الأسرة

ما أجمل أن تجتمع الأسرة في موعد أسبوعي، في مكان متجدد باستمرار، لبناء جسور المحبة والنقاش المرِح وكسر الروتين، وكذا لإبراز المواهب وحل المشكلات بعيدًا عن النقد الحساس! وقد أظهرت إحدى الدراسات عِظَم الأثر الذي تتركه هذه اللقاءات الأسرية على الآباء، فضلًا عن الأبناء. فوضع الأسرة على قمة الأولويات يزيد تقاربها ويقلل من فرص تشرذمها، كما يحمي الأبناء كثيرًا من الانحراف. ولتفعيل هذا اللقاء بحيوية متجددة، عليك التخطيط المسبق له من حيث الأنشطة والموضوعات، وتجديد أماكنه، والتحفيز المادي والمعنوي للأعضاء الفاعلين، بالإضافة للتعاون في تنظيمه بين أفراد الأسرة، وكذلك المرونة في قبول الأعذار عند التأخر أو التقصير دونما لوم.

حوّل القيمة الإيجابية إلى مهارة ليستوعبها طفلك

إن تلقين الطفل القيم الأخلاقية والعقائدية، دون أن نحولها إلى مهارة، لا يعتبر كافيًا لغرسها في نفسه؛ لأنه في تلك المرحلة يصعب عليه إدراك قدسية هذه الأمور. وقد روى سهل بن عبد الله أن خاله عوّده على ترديد "الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهد عليّ" بينه وبين نفسه لمدة ثلاث سنوات، حتى أتاه بعدها يقول: "يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهدُه.. أيعصيه؟ إيَّاك والمعصية". فقد كان التدرب على الأمر، حتى ألفه الصبي، هو ما مهّد له فهم الموعظة بعدها. وهكذا، فبدلًا من إكثار النصح للطفل على احترام

الكبير، لنريه نحن من أنفسنا ذلك ونشجعه على تقليده بالفعل لا القول فقط، وهو ما يحفّز حواسه المختلفة للتفاعل مع القيمة المرادة. لذا، فلا بد أن يدرك الطفل ما نطلبه منه، حسب سنه، ويطبق المطلوب بشكل سليم، ويعتاد تكراره، ونشجعه نحن على ذلك وإن أخطأ؛ حتى لا يُحبط من المحاولة.

رأي المُربّي في المُتربي له أثر على شخصيته

إن فكرة الطفل عن نفسه إنعكاس لنظرة والديه له، لذا فإن مدحه ببعض الصفات الحسنة، وإن لم تكن فيه – باعتدال – قد يدفعه للاقتداء بها. وكذلك – في حدود ضيقة – يكون التعريض ببعض الصفات الذميمة فيه دافعًا محتملًا لتجنّبه إياها، وخير مثال هنا هو حديث النبي ﷺ عن عبد الله بن عمر: "نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل"، فكان من آثار هذا المدح، الداعي لشيء بسيط (يصلي من الليل)، أن عبد الله لم يكن ينام من الليل إلا أقله ويقضي بقيته في الصلاة. وكذلك، فإن تضمّن التقويم على تشجيع للابن، على بعض الأمور البسيطة، قد يدفعه للأخذ بأحسنها والمداومة عليها.

التوجيه غير المباشر، هل جربته مع طفلك؟

عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: "كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان بن فلان؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟". وتلك قاعدة تربوية حكيمة، إذ أن أساليب النصح غير المباشرة تملك من القوة ما يفوق النصيحة المباشرة، فالاقتداء بالشيء أمام الطفل يحفزّه عليه، وكذلك القصة، والكناية، والتورية وغيرها من الأساليب غير المباشرة؛ لأنها ترفع الحرج عنه وتستميل قلبه فتحميه من العناد، كما أنها تنمّي لديه المبادرة الذاتية، فتعزز ثقته بنفسه وقدرته على اتخاذ القرار.

طفلي يختار الصديق الصالح بنفسه

ليس من المنطقي، ولا الصحي، التحكم في اختيار أصدقاء الطفل، كما إنها مهمة صعبة في حد ذاتها، ولكن توفير بيئة مناسبة للابن – في السكن والمدرسة وأماكن تردده – بالإضافة لتنشئته الأخلاقية والمعرفية السليمة – هما الضامنان الحقيقيان ليتعرّف على أصدقاء جيدين. كما أن التوعية الأبوية بمحورية دور الصديق في حياتنا لها أبلغ الأثر في تبصرة الابن بأهمية الانتقاء الجيد؛ لأن "المرء على دين خليله"، فالمرء مهما بلغ

من الذكاء والمكانة ستبقى لصحبته القدرة على رفعه إلى السماء أو خسفه بالأرض، لذا وجب الجمع بين الحرية والتوعية.

بين المثير وردة الفعل مسافة، هل جربت التحكم بها؟

يقول (ستيفن كوفي) أنه أثناء قراءته لكتاب (العادات السبع)، استوقفته تلك العبارة: "بين المثير وردة الفعل مساحة من الفراغ، في ذلك الفراغ تكمن خبرتنا وقدرتنا على اختيار الاستجابة، وفي الاستجابة يكمن نمونا وسعادتنا". تلك المساحة، التي قد تكون لحظات، ربما تحمل لنا تصرفًا مغايرًا تمامًا إزاء سلوكيات أبنائنا؛ لأن رؤيتنا للموقف ستتسع وعقدته ستنفك مما يؤثّر في نضج الحلول وزيادة بدائلها، وتلك المساحة هي المقابل الشرعي لكظم الغيظ الذي يحوّل الصبر إلى عفو فإحسان.

لا مكان لكسول أو بطّال في بيتنا

عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، قال: "قال النبي ﷺ: على كل مسلم صدقة. قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق. قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها له صدقة". فالمؤمن لا يعدم الخير أبدًا. وبالقياس، فإن الأطفال الذين يتقاسمون العمل والمسؤوليات مع أسرتهم ينعمون بقدر أعلى من الاتزان النفسي والطموح من أقرانهم الكسولين. ومما يحفّز الطفل على ذلك شعوره الدائم بتقدير صنيعه والتشجيع عليه، مع توضيح المطلوب منه بلا تهديد، وترك مسؤولية التخطيط للعمل بين يديه. فالكسل لا يولد مع الطفل وإنما يكتسبه من إهمال الأهل له.

لماذا، وكيف نربي أبناءنا جنسيًا؟

يبدو أننا قد تجاوزنا السؤال عن لماذا منذ زمن، وأن ما يستحق النقاش الآن هو (كيف). والإجابة عن ذلك تكون على محورين: أولهما هو تدريج هذه التربية مع مراحل النمو، والثاني هو عدم تجاهل الأسئلة المحرجة. لذا، وجب أن نتعامل مع تساؤلاتهم، التي تتطور تبعًا لمراحلهم العمرية، بلا كذب، وأيضًا دون خدش الحياء. فنبدأ في مرحلة الطفولة بتعليمهم ستر العورة عن الآخرين، وننتقل قبل البلوغ لمصارحتهم بالتغيرات الفسيولوجية المنتظرة لهم وكيفية التعامل معها والطهارة من تبعاتها، ثم يكون الحوار بعد البلوغ عما يتعلق

بالشهوة والحكمة منها وسبل قضائها فيما أحل الله، ثم تأتي مرحلة الزواج لفتح باب الحوار الصريح عن العلاقة الحميمية بدلًا من تركهم لتصورات أصدقائهم والمواقع الإلكترونية التي تحتمل الخطأ. ومن المعلوم أن هذه الخطوات -في تدرجها- لن تخلو من الحرج، ولكن مواجهة الأمر بنضج وخصوصية خير من التهرب منه أو الكذب فيه. وتكمن أهمية هذه التربية في حاجة الأبناء الشديدة لهذه المعلومات، لحماية أنفسهم من التحرش الذي لا يفهمون ماهيته، أو لحمايتهم بعد الزواج من علاقة حميمية فاشلة، لافتقارها ما يلزمها من التهيئة والمعلومات. كما أن التوعية الجنسية تقي الأبناء شر التوجه للمواقع الإباحية عندما يلحظون تغيرات المراهقة، وتهيئهم لها دون الشعور بالقلق.

استثمر القيمة الإيجابية للاختلاف والتنوع في أطفالك

كما الأرزاق، فإن العقول والمواهب على خلاف بين البشر، ولا تعني شمولية التربية أن نجعل من الأبناء كلهم نسخًا واحدة، وإنما يجب احترام ما ينفرد به الابن ودعمه للتفوق فيه. وكم كان الاختلاف بين شخصيات الصحابة ومواهب العلماء من السلف كبيرًا ومتشعبًا! ولكنهم، على الرغم من ذلك، قد أنتجوا أجيالًا من النابغين، كلٌّ فيما يحسنه. وكذلك هو الدور المنوط بالوالدين، من احترام لمواهب الأبناء ودعم لتفردهم، فطبيب ناجح ومعلّم مرموق وتاجر أمين خير من ثلاثة أطباء لا يفقهون مجالهم ولا يحبذون البقاء فيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين